المحاضرة الخامسة

عبد بن جحش ، وهو أبو أحمد ، وكان أبو أحمد ضرير البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً .
ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن ابي ربيعة المخزومي ، حتى قدما المدينة ثم تتابع المهاجرون .

هِجرَة الرَّسُولِ
صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلّم

وأقام رسول الله (ص) بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر ان يؤذن له في الهجرة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين الا من حبس وفتن ، الا علي بن أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، رضي الله عنهما . وكان ابو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله (ص) في الهجرة فيقول له رسول الله (ص)، « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً » . فيطمع ابو بكر ان يكونه .

ولما رأت قريش أن رسول الله (ص) قد صارت له شيعةٌ واصحابٌ من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج اصحابه من المهاجرين اليهم ، عرفوا انهم قد نزلوا داراً واصابوا منهم منعة فحذروا خروج رسول الله (ص) اليهم ، وعرفوا انه قد أجمع لحربهم .

فاجتمعوا له في دار الندوة – وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً الا فيها – يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله (ص) حين خافوه .

عن ابن عباس قال : لما أجمعوا لذلك واتعدوا ان يدخلوا في دار الندوة ، ليتشاوروا فيها في امر رسول الله (ص)، غدوا في اليوم الذي اتعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة ، فاعترضهم ابليس في هيئة شيخ جليل [1] عليه

(١) جليل : مسن .

Scanned by CamScanner

بت[1] فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد[2] سمع بالذي اتعدتم له ، فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى ألا يعدمكم منه رأياً ونصحا ! قالوا : اجل فادخل . فدخل معهم وقد اجتمع فيها اشراف قريش ، فقال بعضهم لبعض : ان هذا الرجل قد كان من امره ما قد رأيتم ، فأنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رأياً .

فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد واغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زهيراً والنابغة ، ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم ! فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي ، والله لئن حبستموه كما تقولون ، ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم . ما هذا لكم برأي ، فانظروا في غيره .

فتشاوروا ثم قال قائل منهم[2] نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالي اين ذهب ولا حيث وقع ، اذا غاب عنا وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت .

فقال الشيخ النجدي : لا والله ، ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم ان يحل على حي من العرب ، فيغلب عليهم بذلك

---

(١) البت : كساء غليظ مربع .

(٢) السهيلي : انما قال لهم ، اني من اهل نجد ، لانهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة احد من اهل تهامة ، لان هواهم مع محمد ، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجدي .

(٣) هو ابو الاسود ربيعة بن عامر .

Scanned by CamScanner

من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليـــه ، ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أديروا فيه رأياً غير هذا .

فقال ابو جهل بن هشام : والله ان لي لرأياً مـــا اراكم وقعتم عليه بعد . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : ان نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً[1] فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعـــاً ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل [2] ، فعقلناه لهم .

فقال الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي لا أرى غيره !! فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له .

فأتى جبريل عليه السلام رسول الله (ص) فقال : لا تبيت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه .

فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه . فلما رأى رسول الله (ص) مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : نم على فراشي ، وتسجّ[3] ببردي هذا الحضرمي الأخضر [4] فنم فيـــه ، فإنه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم .

وكان رسول الله (ص) ينام في برده ذلك اذا نام .

---

(١) الوسيط : الشريف .
(٢) العقل : الدية .
(٣) تسجى بالثوب : غطى به جسده ووجهه .
(٤) الحضرمي منسوب الى حضرموت .

Scanned by CamScanner

عن محمد بن كعب القرظي قال :

لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : ان محمداً يزعم أنكم ان تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وان لم تفعلوا كان لكم فيه ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها .

وخرج عليهم رسول الله (ص) فأخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال : أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس : « يس . والقرآن الحكيم » الى قوله : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » . حتى فرغ رسول الله (ص) من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، ثم انصرف الى حيث أراد ان يذهب .

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا محمداً . قال: خيبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله (ص) فيقولون : والله ان هذا لمحمد نائماً عليه برده . فلم يبرحوا كذلك حتى اصبحوا . فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا .

قال ابن اسحاق : وكان ابو بكر رضى الله عنه رجلا ذا مال ، فكان حين استأذن رسول الله (ص) في الهجرة فقال له رسول الله (ص) : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً ـ قد طمع بأن يكون رسول الله (ص) إنما يعني نفسه حين قال له ذلك ـ فابتاع راحلتين فاحتبسهما في داره يعلفهما ، اعداداً لذلك .

Scanned by CamScanner

قالت عائشة : كان لا يخطىء رسول الله (ص) أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار . إما بكرة وإما عشية ، حتى اذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله (ص) في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه : أتانا رسول الله (ص) بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها ، فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله (ص) هذه الساعة الا لأمر حدث . فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله (ص) وليس عند ابي بكر إلا أنا وأختي اسماء بنت ابي بكر ، فقال رسول الله (ص) : أخرج عني من عندك ، فقال : يا رسول الله : إنما هما ابنتاي ، وما ذاك ؟ فداك أبي وأمي! فقال : إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة . فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ؟ قال : الصحبة . قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن احداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ . ثم قال: يا نبي الله ، ان هاتين راحلتان قد كنت اعددتها لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقط ، وكان مشركاً ، يدلهما على الطريق ، فدفعا اليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

قال ابن اسحاق ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله (ص) أحد حين خرج ، الا علي بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبي بكر . أما علي فإن رسول الله (ص) – فيما بلغني – أخبره بخروجه ، وأمره ان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله (ص) الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله (ص) ليس بمكة احد عنده شيء يخشى عليه الا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته .

فلما أجمع رسول الله (ص) الخروج ، أتى أبا بكر بن أبي قحافة ، فخرجا من خوخة[1] لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا الى غار بثور[2] فدخلاه ، وأمر

(١) الخوخة : باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليها باب .
(٢) ثور : جبل بأسفل مكة .

Scanned by CamScanner

أبو بكر ابنه عبد الله بن ابي بكر ان يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاه ان يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما ، يأتيهما اذا أمسى في الغـــار ، وكانت أسماء بنت ابي بكر تأتيهما من الطعام اذا امست بما يصلحهما [1] .

فأقام رسول الله (ص) في الغـــار ثلاثاً ومعه ابو بكر ، وجعلت قريش فيه ، حين فقدوه ، مئة ناقة ، لمن يرده عليهم . وكان عبد الله بن ابي بكر يكون في قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون في شأن رسول الله (ص) وأبي بكر ، ثم يأتيهما اذا امسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر بن فهيرة مولى ابي بكر رضي الله عنه ، يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا امسى أراح عليهما غنم ابي بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فاذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما الى مكة ، اتبـع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفى عليه ، حتى اذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهمـا صاحبهما الذي استأجراه ، ببعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما ونسيت أن تجعل لها عصاما [2] ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلـق السفرة فاذا ليس لهـــا عصام ، فتحل نطاقها فتجعله عصاما ، ثم علقتها به .

فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاق ، لذلك [3] .

فلما قرب أبو بكر ، رضي الله عنـــه ، الراحلتين الى رسول الله (ص)

---

(١) ابن هشام عن الحسن البصري : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار ليلاً ، فدخل ابو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمس الغار لينظر أفيه سبع او حية ؟ يقي رسول الله (ص) بنفسه».

(٢) العصام : رباط القربة والمزادة ونحوهما .

(٣) قال ابن هشام : « وسمعت غير واحد من اهل العلم يقول : ذات النطاقين . وتفسيره انها لما ارادت ان تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين، فعلقت السفرة بواحد، وانتطقت بالآخر».

Scanned by CamScanner

قدم له أفضلها ثم قال : اركب ، فداك أبي وأمي ! فقال رسول الله (ص) : إني لا أركب بعيراً ليس لي . قال : فهي لك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي! قال : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا . قال : قد أخذتها به . قال : هما لك يا رسول الله .

فركبا وانطلقا ، وأردف ابو بكر الصديق رضي الله عنه عامر بن فهيرة مولاه خلفه ، ليخدمهما في الطريق .

قالت أسماء بنت أبي بكر : لما خرج رسول الله (ص) وأبو بكر ، رضي الله عنه ، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت اليهم فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قلت لا أدري والله أين أبي . قالت : فرفع أبو جهل يده — وكان فاحشاً خبيثاً — فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي !

ثم انصرفوا . فمكثنا ثلاث ليال وما ندري أين وجه رسول الله (ص) ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته ما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد[1]
هما نزلا بالبر ثم تروحا ... فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

(١) ام معبد ، واسمها عاتكة بنت خالد : امرأة من بني كعب ، نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وعبد الله بن ارقط ، فسألوها لحماً وتمراً يشترون منها ، فلم يصيبوا عندها شيئاً ، فرأى رسول الله شاة بكسر الخيمة لا تدر ، فاستأذنها ان يحلبها ، فمسح ضرعها فدرت درأ غزيراً ، ثم بايعته المرأة على الاسلام .

Scanned by CamScanner

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجـــه رسول الله (ص) وأن وجهـــه الى المدينة .

قال سراقة بن مالك بن جعشم : لمـــا خرج رسول الله (ص) من مكة مهاجراً الى المدينة جعلت قريش فيه مئة ناقة لمن رده عليهـــم . فبينا أنا جالس في نادي قومي اذ أقبل رجل منا حتى وقـــف علينا ، فقال : والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا علي آنفاً ، اني لأراهم محمدا واصحابه . فأومأت اليه بعيني : أن اسكت . ثم قلت : انما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم ! قال: لعله . ثم سكت . ثم مكثت قليلا ثم قمت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسي فقيد لي الى بطن الوادي ، وأمرت بسلاحي فأخرج لي من دبر حجرتي ثم أخذت قداحي التي استقسم بهـا ، ثم انطلقت فلبست لأمتي [1] ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي اكره « لا يضره » [2] . وكنت أرجو ان أرده على قريش فآخذ المئة ناقة ، فركبت على اثره ، فبينا فرسي يشتد بي عثر بي ، فسقطت عنه ، فقلت : مـــا هذا ! ثم اخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي اكره « لا يضره » . فأبيت إلا أن اتبعه، فركبت في أثره ، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فسقطت عنه فقلت ما هذا ! ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي اكره « لا يضره » . فأبيت إلا ان اتبعه ، فركبت في أثره ، فلمـــا بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي . فذهبت يداه في الأرض وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالإعصار . فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني وانه ظاهر [3] ، فنـــاديت القوم فقلت : أنا سراقة بن جعشم ، انظروني اكلمكم ، فوالله لا أريبكم ، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه . فقـــال رسول الله (ص) لأبي بكر : قل له : وما تبتغي منا ؟ فقال ذلك ابو بكر ،

---

(١) اللأمة : الدرع والسلاح .
(٢) اي المكتوب فيه هذه الكلمة.
(٣) اي غالب منتصر .

Scanned by CamScanner